# لغة- كلام

مجلة علمية دولية محكمة
تصدر عن مختبر اللغة
والتواصل
بجامعة غليزان/ الجزائر

ISSN : 2437- 0746

EISSN: 2600-6308

رقم الإيداع:
3412 – 2015

مصنفة ج بقرار 1432 بتاريخ
2019/08/13

## في هذا العدد

**إشكالية ضبط المفاهيم اللّسانية عند الباحثين العرب المحدثين جهود حاتم الضّامن أنموذجا**

✍ **ذهبية حمو الحاج**

**استثمار الذّكاء الاصطناعيّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها الواقع والتّحدّيات**

✍ **سعاد بسناسي**

**لغة القوة والمواجهة: قراءة تداولية في مصطلحات حرب طوفان الأقصى**

✍ **أم الخير سلفاوي**

**سحر الموضوع في "الوان مان شو One-Man show" الفرنسي: آليات الإبلاغ والإمتاع**

✍ **شطاح عبد الله**
✍ **بويش منصور**

مدير المجلة / رئيس التحرير
أ.د/ مفلاح بن عبد الله

المجلد 12 / العدد 01
شعبان 1447هـ
جانفي 2026 م

# لغة – كلام

**مجلة علمية دولية محكمة**

**تعني بالأبحاث والدراسات في مجال اللغة والتواصل**

**تصدر عن مختبر اللغة والتواصل**

**بجامعة غليزان/ الجزائر**

المجلد 12- العدد 01

**شعبان 1447هـ – جانفي 2026م**

**ISSN: 2437-0746**

**EISSN: 2600-6308**

**رقم الإيداع: 2015 – 3412**

**مصنفة ج بقرار 1432 بتاريخ 2019/08/13**

http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176

lougha.kalam@gmail.com

**العنوان: جامعة غليزان 48000**

**تخلي مجلة (لغة – كلام) مسؤوليتها من أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية، كما أن الآراء الواردة في هذه الأبحاث لا تعبر عن رأي إدارة المجلة.**

الرئيس الشرفي مدير الجامعة

أ.د/ بحري أحمد

مدير المجلة/ رئيس التحرير

أ.د/ مفلاح بن عبد الله

## الهيئة الاستشارية

| من الجزائر | من خارج الجزائر |
|---|---|
| ملياني محمد | أحمد حساني. الإمارات العربية المتحدة |
| حفيظة تزروتي | بوقرة نعمان- . المملكة العربية السعودية |
| اسطنبول ناصر | دلدارعبد الغفورالبالكي. العراق |
| حمودي محمد | عبد القادرفيدوح. جامعة قطر |
| ملاحي علي | حاتم عبيد. المملكة العربية السعودية |
| بوطجين سعيد | بلعابد عبد الحق. قطر |
| حمو الحاج ذهبية | الجبوري حيدرغضبان. العراق |
| مكاوي خيرة | هاني إسماعيل رمضان. تركيا |
| عقاق قادة | ضياء غني العبودي. العراق |
| عزالدين جلاوجي | سعيد الجعفري. العراق |
| مزاري عبد القادر | حمزة خضيرأفندي القريشي. العراق |
| عبد الحليم بن عيسى | محمد الشكري. العراق |

# لجنة القراءة لهذا العدد

| | | |
|---|---|---|
| مداني ليلى | عابد لزرق | نكاع سعاد |
| عرابي محمد | حفصة جعيط بوخنشوش | عزوزهني حيزية |
| بوسغادي حبيب | منصوري كريمة | زيتوني عبد الله |
| زياني سمير | جغدم الحاج | رحال هشام |
| بويش منصور | بن لباد سالم | مفلاح بن عبد الله |
| بوقفحة محمد | فاطمة بن عدة | أحمد عراب |
| بوخشة خديجة | بركات مبروك | لمجادي سورية |
| قادة عقاق | رمضان عاشورحسين سالم | حمو عبد الكريم |
| بويش نورية | بن يامنة سامية | محمد سعيد حسين مرعي |
| بحري قادة | بن عياد فتيحة | زيتوني كريمة |
| BENADDA Abdelouahid | Hammouche-Bey Omar Rachida | AISSA Khaldia |
| ALACHAHER Fazilet | BOUGUENOUS ABDALLAH | SAHI Mohamed |
| Berdji Besseghir Mustapha Samira | فايزة سنوسي مبربش | BOUBEKEUR Abed |
| sabeur djamel | | HAMMAL Kaddour |

# مساعدو التحرير

| | | |
|---|---|---|
| مجاهدي صباح | بويش نورية | عدارزهرة |
| بن يمينة زهرة | بوقفحة محمد | بونوة خيرة |
| مسكين دليلة | بوخشة خديجة | درقاوي كلثوم |
| BOUAZA MERAIHIA | BOUGUENOUS ABDALLAH | بويش منصور |
| BENADDA Abdelouahid | ALACHAHER Fazilet | طاهير محمد أمين |

# قواعد النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث الرصينة المتعلقة بقضايا اللغة والتوصل باللغات الوطنية، مع إمكان النشر باللغات الأجنبية.
2. يجب أن لا تزيد عن 15 صفحة من الحجم 29/21.
3. التهميش يتم وفقاً لنموذج (APA)

يراعى في تنسيق خط المشاركات الالتزام بالآتي:

4. يستخدم في متن النص الخط (SakkalMajalla) عادي (حجم 17).
5. تكون الحواشي 2 سم على جوانب الصفحة الأربعة.
6. الجداول والرسومات والمخططات تكون بصيغة JPG
7. يرفق الباحث ملخصا لبحثه باللغتين العربية والانجليزية في حدود (100 كلمة)، والكلمات الدالة في حدود (5 كلمات) باللغتين العربية والانجليزية.
8. يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه لأي جهة أخرى للنشر حتى يصله رد المجلة.
9. يلتزم الباحث بإجراء تعديلات المحكمين على بحثه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز 15 يوما.
10. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد إرساله للتحكيم إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير.
11. لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد مرور سنة على تاريخ نشره في المجلة بشرط أن يشير إلى ذلك.
12. يرفق الباحث بحثه بوثيقة التعهد ووثيقتي التعهد و إقرار المشرف (وثيقة إقرار المشرف خاصة بطلبة الدكتوراه)
13. يرسل المقال حصرا عبر البوابة الجزائرية للمجلات باستخدام البريدي الإليكتروني المهني

هام جدا: كل مقال لا يستجيب لهذه القواعد يتم رفضه

# محتويات العدد


| | | |
|---|---|---|
| | افتتاحية العدد بقلم أ. د سعاد بسناسي | 17-09 |
| ✍ ذهبية حمو الحاج | إشكالية ضبط المفاهيم اللّسانية عند الباحثين العرب المحدثين جهود حاتم الضّامن أنموذجا | 36-18 |
| ✍ سعاد بسناسي | استثمار الذّكاء الاصطناعيّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها الواقع والتّحدّيات | 48-37 |
| ✍ واسيني بن عبد الله | الاستشهاد بالأمثال في المعاجم العربية- قراءة في المنهج- | 63-49 |
| ✍بولحية صابرينة | التجريب في السرد المتخيّل قراءة تأويلية في قصص جمال الغيطاني | 74-64 |
| ✍ سنوسي أم جيلالي<br>✍ مكيكة جواد | العتبات النصية – نحو آفاق تأويلية جديدة – قراءة في ديوان لماذا تركت الحصان وحيدا؟ لمحمود درويش | 100-75 |
| ✍ قداري حسين<br>✍ غيتري سيدي محمد | الخطأ اللغوي وعلاقته بالخطأ في التكييف القانوني- مقاربة دلالية- | 123-101 |
| ✍ نادية زيد الخير | العدالة اللغوية: تحقيقٌ للاعتزاز باللغة العربية وإنصاف للانفتاح على لغات الآخر | 135-124 |
| ✍بوحجر أحلام أميرة | المضمر والصريح في مسرحية الرجوع: قراءة في الأنساق الثقافية | 148-136 |
| ✍ لمين زايدي | تأصيل نظرية الحقول الدلالية في التراث اللّغوي العربي القديم | 163-149 |
| ✍ محمد عرباوي | تغاير مستويات التنغيم القرآني وأثره في انزياح التقرير والاستفهام | 181-164 |
| ✍ إبراهيم مجاهدي<br>✍ عبد الرحمان عيادي | توظيف التكنولوجيات الحديثة في مجال الفنون التشكيلية: تقنية الواقع المعزز أنموذجا | 197-182 |
| ✍إخربين ليندة<br>✍مغاوي نجوى | حركية السيّاق التّداولي في توجيه معنى الحديث النّبوي الصيّام أثناء السّفر نموذجا | 218-198 |
| ✍ شطاح عبد الله<br>✍ بويش منصور | سحر الموضوع في "الوان مان شوOne-Man show" الفرنسي: آليات الإبلاغ والإمتاع | 230-219 |

| | | |
|---|---|---|
| خداوي أسماء<br>محمد برونة | شعرية الرّمز الصوفي في ديوان الحاج محمد بن يلّس التّلمساني | 240-231 |
| ناصر بوصوري | صدى الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بجبال القعدة - آفلو | 250-241 |
| مريم طحار | فتحي التريكي بين حفريات ميشال فوكو وأرق الحداثة | 270-251 |
| حميدة بوهنيبة<br>سعيد شيبان | فعاليّة التّجريب في ديوان فصوص التّناهي والتّجلّي لناصر اسطمبول: قراءة تأويلية في تحوّلات الشّكل والرّؤيا | 292-271 |
| أم الخير سلفاوي | لغة القوة والمواجهة: قراءة تداولية في مصطلحات حرب طوفان الأقصى | 312-293 |
| كريم كحول | وَظِيفَةُ الِاسْتِعَارَةِ فِي بِنَاءِ الحِجَاجِ القُرْآنِيِّ : سُورَةُ الكَهْفِ نَمُوذَجًا | 327-313 |
| Abdeldjabar khodja | Analyse pragmatique de la (im)politesse dans les conférences de presse sportives algériennes : Étude des stratégies de négociation des faces entre entraîneurs et journalistes | 393-328 |
| FILALI Billel | E-Learning Platforms and Rewriting the Future of Algerian Universities—A Comprehensive Analysis of the Moodle Platform | 347-340 |
| Hadj TAYEB<br>Mustapha BOUDJELAL | Inner Worlds, Outer Stories: The Hollow Earth as a Trope in Science Fiction | 360-348 |
| LOUALICHE Baroudi | La alternancia de códigos: una realidad sociolingüística en la universidad argelina: Competencia o discapacidad lingüística | 375-361 |
| Salma Bensaad<br>Dendane Zoubir | Minority Language Policy in Algeria and its Influence on Language Use and Attitudes: The Case of Tamazight in Benisaf | 393-376 |
| ASKRI Boubaker<br>ASSELAH RAHAL Safia | Rôle des représentations sociales dans la gestion de la pluralité linguistique en classe de FLE | 414-394 |
| Yahya Saleh Hasan Dahami | Saudi Literary Clubs and Their Contribution to Saudi Literature (2) | 427-415 |
| CHAMI Wahid Hamza Mohamed1 | Why Large Language Models Struggle with Sarcasm: A Reflection on Pragmatic Competence, Cultural Nuances, and AI Limitations | 436-428 |

# افتتاحية العدد

## اللّغةُ في فكرِ العلاّمة مكّي درّار رؤية لسانيّة ومعرفيّة

**أ. د سعاد بسناسي**

**جامعة وهران 1 - الجزائر**

**عضو المجلس الأعلى للّغة العربيّة - الجزائر**

### 1. الإسهامُ النّظريّ في علوم اللّغة:

يتأسّسُ النّظر في اللّغة عند الشّيخ اللّسانيّ الجزائريّ (مكّي درّار) على وعي عميق بطبيعتها المركّبة، بوصفها نظامًا حيًّا يتشكّلُ داخل الاستعمال ويتطوّرُ عبر السّياق، لا بنية مغلقة تنفصلُ عن الفكر والواقع. ينطلقُ تصوّره من أنّ اللّغة ليست أداة نقل للمعنى فحسب، بل فضاء تتفاعل فيه البنية والدّلالة، ويتقاطعُ فيه الصّوت والتّركيب مع التّجربة الإنسانيّة. لذلك لم يتعامل معها بوصفها معطى ثابتا، بل بوصفها كائنًا معرفيًّا يتحرّكُ داخل التّاريخ والثّقافة، ويتأثّرُ بتحوُّلات الوعي الجماعيّ والفرديّ.

يرى (مكّي درّار) أنّ بنية اللّغة لا يمكن فهمها بمعزل عن وظائفها، فالشّكل عنده لا يسبق المعنى ولا يستقلّ عنه، وإنّما يتولّدُ من الحاجة إلى التّعبير، ومن ضغط الاستعمال اليوميّ والعلميّ والأدبيّ. يتّضحُ هذا في قراءاته اللّغويّة التي تربطُ بين المستويات الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والأسلوبيّة البلاغيّة وبين ما تحمله من دلالات وسياقات، حيث تتكامل هذه المستويات لتنتج خطابًا قابلا للفهم والتّأويل. تبرزُ اللّغة في هذا الإطار بوصفها شبكة علاقات، لا مجموعة قواعد صمّاء، شبكة تنظّم المعنى وتعيدُ توزيعه بحسب المقام والسّياق.

ينتقدُ (مكّي درّار) الفصل الحادّ بين اللّغة والفكر، ويرى أنّ هذا الفصل أضعف كثيرًا من المقاربات اللّسانيّة التي اكتفت بوصف البنية وأغفلت بعدها المعرفي. يذهبُ إلى أنّ اللّغة تشكّل أفقًا للتّفكير، وأنّ ما يمكن قوله يرتبطُ بما تسمحُ به اللّغة من صيغ وتراكيب، لذلك تصبحُ دراسة بنيتها مدخلًا لفهم أنماط التّفكير السّائدة في مجتمع ما. بهذا المعنى تتحوّلُ اللّسانيّات عنده إلى أداة لفهم الإنسان، لا علمًا تقنيًّا يكتفي بتشريح الجملة أو ضبط النّظام.

تتجلّى الوظيفة المعرفيّة للّغة في فكره من خلال اهتمامه بالعلاقة بين الدّلالة والسّياق، حيث يؤكّد أنّ المعنى لا يستقرّ في اللّفظ وحده، بل يتشكّل في لحظة التّلقّي، عبر تفاعل البنية اللّغويّة مع الخلفيّة الثّقافيّة والمعرفيّة للمتكلّم والمتلقّي. يجعلُ هذا التّصوّر اللّغة مجالًا مفتوحًا للتّأويل، ويمنحها قدرة على إنتاج المعنى لا على استهلاكه فقط. هنا تظهرُ أهمّية الحيرة بوصفها لحظة وعي بثراء اللّغة، لا علامة على قصورها.

يبرزُ إسهامه النّظريّ كذلك في دفاعه عن اللّغة العربيّة بوصفها لغة قادرة على استيعاب المفاهيم الحديثة، شرط التّعامل معها بوصفها نظامًا مرنًا قابلًا للتّجدّد. يرفضُ النّظرة التي تحصرُ العربيّة في نماذج تراثيّة جامدة، ويؤكّد أنّ بنيتها الدّاخلية، بما تملكه من اشتقاق واتّساع دلاليّ، تؤهّلها للتّفاعل مع التّحوّلات المعرفيّة والعلميّة. بهذا المعنى لا تنفصلُ رؤيته اللّسانيّة عن هاجس حضاريّ، يرى في اللّغة أساسًا للنّهضة الفكريّة وبناء المعرفة.

تتكاملُ هذه الرّؤية في مشروع فكريّ ينظرُ إلى اللّغة باعتبارها مجالًا للمعرفة، ووسيطًا بين الإنسان والعالم، وأفقًا لتشكّل الوعي. لا تظهرُ أفكار (مكّي درّار) في صورة أطروحات معزولة، بل في نسق متماسك يربطُ بين التّحليل اللّسانيّ والسّؤال المعرفيّ، ويجعلُ من دراسة بنية اللّغة مدخلًا لفهم وظائفها في التّفكير والتّواصل وبناء المعنى. بهذا الإسهام يرسخ موقعه بوصفه باحثًا أسهم في توسيع أفق الدّرس اللّغويّ، وربطه بأسئلة الإنسان والثّقافة والمعرفة.

ينطلقُ التّفكير اللّغويّ عند (مكّي درّار) من قناعة راسخة بأنّ اللّغة لا تقومُ على انفصال بين مستوياتها، وأنّ الصّوت لا يؤدّي وظيفة شكليّة معزولة، بل يشارك في توليد المعنى وتوجيهه داخل الاستعمال. لذلك يتعاملُ مع البنية الصّوتيّة بوصفها حاملًا دلاليًّا، يسهمُ في بناء الدّلالة بقدر ما يُسهمُ في انتظام الخطاب. يربطُ بين نبرة الصّوت، وإيقاعه، وتجاوره مع غيره من الأصوات، وبين ما تخلقه هذه العناصر من أثر في الفهم والتّلقّي، معتبرًا أنّ المعنى يبدأ من لحظة النّطق، لا من لحظة التّركيب وحدها.

يتجلّى هذا التّصوّر في دراسته للعلاقة بين الصّوت والمعنى، حيث يرفضُ اختزال الصّوت في بعده الفيزيائيّ، ويؤكّد حضوره في تشكيل الحسّ اللّغويّ وفي توجيه الدّلالة. يرى أنّ بعض القيم المعنويّة تنشأ من التّآلف الصّوتيّ، ومن انسجام المخارج، ومن التّناسب بين الحركات والسّكنات داخل الكلمة. هذا الوعي يجعلُ اللّغة كائنًا حيًّا، تتحرّكُ دلالته في مستوى أدقّ من المعجم، مستوى يتّصل بالإحساس اللّغويّ وبالخبرة السّمعيّة المتراكمة داخل الوعي الجمعيّ.

يمتدُّ هذا الفهم إلى تصوّره للنّحو، حيث لا يتعامل معه بوصفه مجموعة قواعد معياريّة منفصلة عن الاستعمال، بل نظامًا يضبط العلاقات بين الكلمات من أجل إنتاج المعنى. ينظر إلى التّركيب على أنّه فعل دلاليّ قبل أن يكون ترتيبًا شكليًّا، فاختيار الموقع الإعرابيّ، وتقديم عنصر على آخر، والحذف أو الذّكر، كلّها أفعال تؤدّي وظائف في بناء الدّلالة وتوجيه الفهم. بهذا المعنى يُسهمُ في إعادة الاعتبار للنّحو بوصفه علمًا للمعنى، لا علمًا للتّصنيف فقط.

يبرزُ دوره في تطوير التّفكير الصّرفيّ من خلال تعامله مع البنية الاشتقاقيّة بوصفها طاقة دلاليّة متحرّكة. لا يرى الصّرف مجرّد آليّة لتوليد الكلمات، بل مجالًا يكشفُ عن مرونة اللّغة وقدرتها على استيعاب التّحوّلات. يولي عناية خاصّة للعلاقة بين الجذر والصّيغة، ويرى أنّ تغيّر الصّيغة لا ينتجُ لفظًا جديدًا

فحسب، بل يفتحُ أفقًا دلاليًّا مختلفًا، يعبّر عن تحوّلات في الرّؤية والفعل والزّمن. يعكسُ هذا التّصوّر فهمًا عميقًا لطبيعة اللّغة العربيّة، وقدرتها على توليد المعنى من داخل بنيتها.

تتكاملُ دراسة الصّوت والنّحو والصّرف في فكره ضمن رؤية لسانيّة تنظرُ إلى اللّغة باعتبارها نظامًا متداخلًا، تتفاعلُ عناصره في إنتاج المعنى. لا ينفصلُ التحليل اللّغويّ عنده عن السّؤال المعرفيّ، إذ يرى أنّ فهم العلاقات الدّاخليّة للّغة يقودُ إلى فهم أعمق لآليّات التّفكير والتّعبير. بهذا الإسهام يرسّخ (مكّي درّار) مقاربة لغويّة تتجاوزُ الوصف التّقنيّ، وتفتحُ الدّرس اللّسانيّ على أفق أوسع، يجعل اللّغة أداة للفهم، ومرآة لوعي الإنسان بالعالم.

يتأسّس تصوّر (مكّي درّار) للّغة على إدراك حركيّتها وقدرتها الدّائمة على التّحوّل، إذ لا ينظر إليها بوصفها بنية ثابتة تحكمها قوانين مغلقة، بل نظامًا يتشكّل داخل الاستعمال ويتأثّر بما يطرأ على المجتمع من تغيّرات في الفكر والقيم وأساليب العيش. تنمو اللّغة في هذا الأفق مع التّحوّلات الاجتماعيّة، وتعيدُ تنظيم بنيتها ودلالاتها بحسب حاجات التّعبير الجديدة، فتغدو شاهدا حيًّا على تحوّلات الوعي الجمعيّ ومساراته.

يربطُ (مكّي درّار) بين تطوّر اللّغة وتغيّر أنماط الخطاب، حيث يرى أنّ التّحوّلات الثّقافيّة تترك أثرها في الصّيغ والتّراكيب، وفي طرق تسمية الأشياء وتمثيلها. يعكس هذا التّفاعل قدرة اللّغة على استيعاب المستجدّات، لا عبر القطيعة مع ماضيها، بل عبر إعادة تأويل مواردها الدّاخليّة وتوسيع طاقتها الدّلاليّة. تنكشفُ اللّغة هنا بوصفها مجالا للتّفاوض بين الثّابت والمتغيّر، بين الذّاكرة والاستجابة للحاضر.

تتجلّى رؤيته المعرفيّة في اعتبار اللّغة وسيلة لفهم المجتمع بقدر ما هي أداة للتّواصل، إذ يسمح تتبّع تحوّلاتها بقراءة التّحوّلات العميقة في البنية الثّقافيّة والاجتماعيّة. لا تنفصل اللسانيات في فكره عن أسئلة الهوية والمعنى، بل تصبح مدخلا لفهم علاقة الإنسان بعالمه، حيث تعكس اللغة توتراته وتطلعاته، وتؤكد قدرتها المستمرة على مواكبة التحول من دون أن تفقد تماسكها الداخلي.

## 2. اللّسانيّات التّطبيقيّة وتحليل النّصوص:

يتّجه (مكّي درّار) في مقاربته اللسانية نحو وصل التحليل النظري بالاستعمال الفعلي للغة داخل النصوص، رافضا الفصل بين القاعدة والتجربة. ينظر إلى اللسانيات بوصفها أداة لفهم آليات اشتغال الخطاب، لا مجالا معزولا عن النصوص الحية، لذلك يجعل من التحليل التطبيقي ميدانا لاختبار صلاحية المفاهيم اللسانية وقدرتها على تفسير الظواهر اللغوية في السياق الأدبي والعلمي.

يظهر هذا التوجه في قراءته للنصوص الأدبية، حيث يوظف المفاهيم اللسانية لفهم بناء المعنى، وتماسك الخطاب، وحركة الدلالة داخل السرد أو الشعر. لا يكتفي بوصف البنية، بل يتتبع أثر الاختيارات اللغوية في تشكيل الرؤية الفنية والفكرية للنص، فيكشف كيف تسهم الصيغة والتركيب والإيقاع في إنتاج

الدلالة وتوجيه التلقي. يتحول النص في هذا الأفق إلى مجال تطبيقي يكشف حيوية النظرية وقدرتها على ملامسة التجربة الجمالية.

يمتد هذا الربط إلى النصوص العلمية، حيث يتعامل مع اللغة بوصفها أداة تنظيم للفكر والمعرفة. يوضح كيف تسهم الصياغة اللغوية في بناء الوضوح والدقة، وكيف تؤثر البنية الخطابية في نقل المفاهيم وترتيب الحجج. بهذا المسار يؤكد أن اللسانيات التطبيقية ليست ترفا تحليليا، بل مدخلا لفهم النصوص في تنوعها، وجسرا يربط النظرية بالاستعمال، ويمنح الدرس اللغوي بعدا وظيفيا ومعرفيا متكاملا.

يعتمد (مكّي درّار) في دراسته للنصوص العربية على منهج تحليلي ينطلق من داخل النص، متجاوزا القراءة الانطباعية أو التفسير الخارجي. يتعامل مع النص القديم والحديث بوصفه بنية لغوية حية، تتكشف دلالتها عبر انتظامها الداخلي وعلاقاتها السياقية، لا عبر إسقاط أحكام مسبقة. يسمح هذا المنظور بفهم النص في خصوصيته التاريخية من جهة، وفي قابليته للتجدد من جهة أخرى.

يولي عناية خاصة لتحليل المستويات اللغوية المتداخلة، حيث يتتبع أثر الصيغة والتركيب والاختيار المعجمي في تشكيل المعنى. لا يفصل بين النص التراثي والنص الحديث، بل يقرأهما ضمن منطق واحد يقوم على الكشف عن آليات الاشتغال اللغوي، مع مراعاة اختلاف السياقات والوظائف. يتيح هذا الأسلوب إبراز استمرارية اللغة العربية، وقدرتها على إنتاج المعنى عبر عصور مختلفة دون فقدان تماسكها.

يفضي هذا المنهج إلى قراءة متوازنة تجمع بين الدقة التحليلية والانتباه للسياق الثقافي، حيث تتحول اللسانيات التطبيقية إلى أداة لفهم النصوص لا لتجريدها من روحها. يرسخ مكي درار بهذا التوجه مقاربة تجعل التحليل اللغوي جسرا بين التراث والحداثة، وتؤكد أن فهم النص العربي يمر عبر وعي عميق ببنيته الداخلية وبالشروط التي أنتجته وتلقته.

ينطلق (مكّي درّار) في تحليله للغة من وعي عميق بارتباطها الوثيق بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي تتشكل داخله، إذ لا يتعامل معها كنظام معزول، بل كفعل تواصلي يعكس أنماط التفكير والعلاقات والقيم السائدة. تتحدد دلالة الألفاظ في هذا الأفق عبر الاستعمال، وتتغير بتغير الحقول الاجتماعية والثقافية التي تتحرك فيها، ما يجعل فهم اللغة رهينا بقراءة شروط إنتاجها وتداولها.

يتجلى هذا التصور في اهتمامه بتحليل التحولات الدلالية، حيث يتتبع انتقال الألفاظ من معان إلى أخرى، أو اتساع دلالتها أو تضييقها، تبعا للتحولات الفكرية والاجتماعية. لا ينظر إلى هذا التغير بوصفه خللا، بل علامة على حيوية اللغة وقدرتها على الاستجابة لحاجات التعبير الجديدة. يسمح هذا المنهج بالكشف عن العلاقة الدقيقة بين المعنى والتجربة الاجتماعية، حيث تتحول اللغة إلى سجل دلالي لتحولات المجتمع.

تؤكد هذه المقاربة أن التحليل اللغوي لا يكتمل دون استحضار البعد الثقافي، إذ تتقاطع البنية اللغوية مع أنماط العيش والتمثلات الرمزية. يبرز مكي درار بذلك دور اللسانيات التطبيقية في فهم المعنى داخل سياقه، وفي قراءة التغير الدلالي بوصفه مسارا يعكس حركة المجتمع والفكر، ويمنح اللغة قدرتها الدائمة على التجدد والتفاعل.

## 3. اللّسانيّات والفلسفة اللّغويّة:

تنطلقُ اللّسانيّات في تفاعلها مع الفلسفة اللغوية من مساءلة المعنى بوصفه حدثًا يتكوّن داخل القول لا خارجه، حيث لا تُفهم الدلالة باعتبارها إحالة ثابتة، بل باعتبارها أثرًا يتشكل من شبكة الاستعمال والسياق والتأويل. فالمعنى لا يُستخرج من الكلمات منفردة، بل يُبنى عبر انتظامها في خطاب يحمل نوايا المتكلم، وتوقعات المتلقي، وشروط المقام. ومن هنا تغدو البلاغة مجالًا كاشفًا عن الطاقة الإيحائية للغة، لا باعتبارها تزيينًا لفظيًا، بل باعتبارها فعلًا يؤثر ويقنع ويعيد تشكيل الرؤية. في هذا الأفق، تلتقي اللسانيات والفلسفة عند اللغة بوصفها وسيطًا للفكر، لا ينقله فحسب، بل يصوغه ويحدّد أفقه، حيث تتداخل الدلالة بالوجود، ويغدو القول ممارسة فكرية تتجاوز حدود اللفظ إلى بناء المعنى في التجربة الإنسانية.

يتجه التفكير اللساني حين يتقاطع مع الفلسفة اللغوية إلى مساءلة طاقة اللغة نفسها، وما إذا كانت قادرة على احتواء ما يتجاوز الحسّ والتجربة اليومية. فالتعبير اللغوي، مهما اتّسعت وسائله، يصطدم بلحظات يعجز فيها اللفظ عن الإحاطة بما يُعاش في الداخل أو بما يُستشعر ولا يُرى، فتظهر اللغة كحدّ وكإمكان في آن واحد. عند نقل التجربة الإنسانية العميقة، ولا سيما تلك المتصلة بالغيب أو بالانفعال القصيّ، تلجأ اللغة إلى الانزياح والتلميح والصورة، محاولة الاقتراب لا الامتلاك. وهنا لا يكون العجز نقصًا خالصًا، بل دلالة على أن القول لا ينقل التجربة كما هي، بل يفتح لها أفقًا للتشارك والفهم، حيث يصبح الصمت جزءًا من المعنى، ويغدو التعبير فعل اقتراب دائم من ما لا يُقال كليًّا.

يبرز (مكّي درّار) في ربط التحليل اللغوي بالفكر الفلسفي والنقد الأدبي بوعي متقدّم يجعل اللغة أداة لفهم الفكر لا وسيلة لتسجيل الكلمات فحسب. يرى أن دراسة البنية اللغوية تكشف عن آليات التفكير، وأن كل اختيار لفظي أو تركيب نحوي يعكس منظومة من المعاني والقيم، تتقاطع مع التأويل الفلسفي والنقدي للنصوص. بهذا الربط تتحول اللغة إلى فضاء للبحث عن المعنى، حيث يلتقي السؤال عن الدلالة بالانشغال بالقيم، ويتصل النحو والصرف بالقدرة على الكشف عن طبقات المعنى في الأدب، فيتجسد دور اللغة كوسيط بين الفكر والنص، بين التحليل الصارم والانغماس التأويلي، ليصبح الخطاب مجالًا للتفكير النقدي والفلسفي في آن واحد.

## 4. التعليم والبحث العلمي في اللغة:

ساهم (مكّي درّار) في تطوير المناهج اللغوية في المؤسسات الأكاديمية من خلال إعادة صياغة البرامج التعليمية بما يربط بين النظرية والتطبيق، ويأخذ بعين الاعتبار تطور اللغة وحركيتها داخل المجتمع. ركز على توسيع آفاق الدرس اللغوي لتشمل فهم البنية والدلالة والسياق، مع تعزيز قدرة الطالب على التحليل النقدي للنصوص وملاحظة التغيرات الدلالية. لم يكتفِ بتقديم المعرفة التقليدية، بل سعى إلى بناء برامج تعليمية تشجع على التفكير المستقل واكتشاف المعنى، ما أسهم في تكوين أجيال من الباحثين القادرين على التعامل مع اللغة بوصفها أداة للتواصل والمعرفة وفهم التحولات الثقافية والاجتماعية.

يرى (مكّي درّار) الباحث اللغوي والناقد اللغوي كفاعل معرفي قادر على رصد الحركة الداخلية للغة وفهم دلالاتها في سياقاتها المتعددة، لا كحافظ للقاعدة أو منفذ للنصوص. يؤكد على ضرورة الجمع بين المعرفة النظرية والقدرة التحليلية، بحيث يتقن الباحث أدوات التحليل اللساني، ويقرأ النصوص بعين ناقدة تستشعر البنية والدلالة والتغير، مع الانتباه إلى أبعادها الاجتماعية والثقافية. يربط بين التدرب على الملاحظة الدقيقة والتمرس في الأساليب النقدية، معتبرًا أن تكوين الباحث عملية مستمرة تتطلب وعيًا بالعلاقة بين اللغة والفكر والقدرة على توليد المعنى، ما يجعل الدراسة اللغوية فعلًا معرفيًا متفاعلاً مع العالم ومفتوحًا على التحولات الفكرية والثقافية.

ترك (مكّي درّار) أثرًا واضحًا على أجيال الباحثين والمتخصصين في اللغة واللسانيات من خلال منهجه الذي جمع بين العمق النظري والوعي التطبيقي، وعلمه الذي شجع على التفكير النقدي والملاحظة الدقيقة والتحليل المتأنٍ للنصوص. لم يقتصر تأثيره على نقل المعارف، بل امتد إلى تشكيل وعي الباحثين بكيفية التعامل مع اللغة كظاهرة حية متغيرة، وفهم علاقاتها بالمعنى والسياق والثقافة. أصبح نهجه مرجعًا في طرق البحث والتحليل، ومنهجا لتطوير قدرات الباحثين على إنتاج المعرفة اللغوية وربطها بالمجالات الفكرية والأدبية، ما أسهم في إرساء قاعدة معرفية متينة وعميقة في الدراسات اللغوية واللسانية.

## 5. الأثر النّقديّ والمعرفيّ للّسانيّات التّطبيقيّة ومستوياتها:

تترك أفكار (مكّي درّار) أثرًا واضحًا في الدراسات اللسانية الحديثة من خلال رؤيته التي تربط التحليل البنيوي للغة بالسياق الاجتماعي والثقافي، وتربط بين الصوت والدلالة والبنية النحوية والصرفية. تُستثمر هذه الأفكار في فهم النصوص وتحليل التغيرات الدلالية، وفي تطوير مناهج البحث التي تدمج بين النظرية والتطبيق. يسمح هذا التوظيف بتوسيع آفاق اللسانيات التطبيقية، بحيث يصبح التحليل أداة لفهم الحركة الداخلية للغة، واستكشاف قدرتها على التعبير عن التجربة الإنسانية، وفهم العلاقة بين اللغة والفكر والنصوص الأدبية والعلمية، ما يعزز موقع الباحث في قراءة اللغة بوصفها نظامًا حيًا متفاعلاً مع المجتمع والمعرفة.

يسهم (مكّي درّار) في تشكيل النقاشات المعاصرة حول اللغة والفكر من خلال تأكيده على أن اللغة ليست إطارًا ثابتًا، بل نظامًا حيًا يعكس التحولات الفكرية والثقافية ويشكل أدوات التفكير نفسها. أثرت رؤيته في الدراسات العربية بشكل خاص، إذ قدم أسلوبًا يربط بين التحليل اللساني والسياق الاجتماعي والنقد الأدبي، ما أتاح للباحثين إعادة قراءة النصوص وفهم التغيرات الدلالية والتراكيب المعرفية بعمق أكبر. هذا التأثير يمتد إلى تعزيز قدرة الدراسات العربية على الجمع بين النظرية والتطبيق، وفتح آفاق جديدة لفهم العلاقة بين اللغة والفكر، وتطوير أدوات نقدية قادرة على تحليل النصوص بوعي بالبعد الاجتماعي والثقافي.

يُظهر منجز (مكّي درّار) العلمي عمقًا استثنائيًا في ربط النظرية اللغوية بالتطبيق، وقد ساهم في ترسيخ مكانة البحث اللغوي في الوطن العربي من خلال تطوير مناهج التحليل، وتعميق فهم العلاقة بين البنية والدلالة والسياق. أثرت إسهاماته على الأجيال الجديدة من الباحثين، فأسهمت في تأسيس مقاربات منهجية تجمع بين الدقة العلمية والانفتاح على التحولات الثقافية والاجتماعية، ما عزز حضور الدراسات اللغوية في المشهد الأكاديمي العربي وجعل اللغة مجالًا حيًا للبحث والفكر والنقد، وقوّى القدرة على إنتاج المعرفة وربطها بالقضايا الفكرية والأدبية المعاصرة.

### 6. الجانب الإنسانيّ للباحث:

تميّز (مكّي درّار) بأخلاقيات علمية متينة، جعلت منه نموذجًا في العمل الأكاديمي الراشد، حيث لم يكتفِ بالسعي وراء النتائج أو الشهرة العلمية، بل أولى قيمة كبرى للصدق والموضوعية في البحث والتحليل. اتسمت كتاباته بالوضوح والدقة، ولم يضع قيودًا على النقد إلا احترامًا للحقائق وللآراء الأخرى، مع حفاظ دائم على أسلوب النقاش العلمي الراقي. حرصه على نقل المعرفة وتعليمها جاء مقرونًا بمسؤولية كبيرة تجاه المتلقي، ما أسهم في بناء بيئة أكاديمية تشجع على التعاون وتبادل الخبرات، وعلى النقد البنّاء الذي يثري الفهم ويعمق النظر. بهذه الأخلاقيات أصبح عمله انعكاسًا لفضائل الالتزام بالبحث والكتابة، إذ اعتبر المعرفة مسؤولية عامة، تتطلب اجتهادًا ووعيًا دائمًا، وتحول الدراسة إلى ممارسة ترتبط بالقيم الإنسانية قبل أن تكون تقنية أو نظرية.

كان لشخصيّة (مكّي درّار) أثر بالغ في البيئة البحثية، إذ لم يقتصر تأثيره على إنتاج المعرفة بل تعداه إلى خلق مناخ أكاديمي يتسم بالاحترام المتبادل والانفتاح على الأفكار المختلفة. أسلوبه الهادئ والحكيم في النقاش والبحث حفّز زملاءه على التفكير النقدي والمواجهة العلمية بعقلانية، كما شجعهم على استكشاف آفاق جديدة في الدراسة اللغوية واللسانية. في تواصله مع طلابه، لم يكتفِ بتلقينهم المعارف، بل حرص على إشراكهم في تجربة البحث، موجهًا لهم أدوات التحليل والفهم، ومشجعًا إياهم على التعبير عن رؤاهم الخاصة، ما جعل العملية التعليمية تجربة متكاملة تجمع بين التعلم والتطبيق والإبداع. انعكس هذا النهج على جودة الإنتاج البحثي للطلاب والزملاء، إذ اكتسبوا القدرة على التمييز بين الدقة العلمية والتقدير

الشخصي، وتعلموا أن البحث العلمي لا يقتصر على جمع المعلومات، بل يشمل احترام القيم الأكاديمية والانخراط في حوار معرفي يثري المجتمع البحثي. بهذا المعنى، أصبحت شخصية مكي درار رمزًا للقيادة الفكرية والأخلاقية في المجال الأكاديمي، فقد أضفى على البيئة البحثية طابعًا من الحضور الهادئ والقوة الفكرية، وألهم من حوله التمسك بالعلم كمسار للتفكير النقدي والتأمل العميق في اللغة والفكر.

**خاتمة:**

يشكّلُ (مكّي درّار) نموذجًا فريدًا في الدراسات اللغوية واللسانية، إذ جمع بين العمق النظري والوعي التطبيقي، وبين الفهم الدقيق للبنية اللغوية والانفتاح على أفق الفكر والثقافة. تجسدت رؤيته في اعتبار اللغة نظامًا حيًا متغيرًا، قادرًا على التعبير عن التحولات الاجتماعية والثقافية، ومرآة للتجربة الإنسانية والفكر الجمعي، ما جعل منه باحثًا يربط بين التحليل اللساني والتأمل الفلسفي والنقد الأدبي. امتد أثره من النظرية إلى التطبيق، فطور المناهج التعليمية، وساهم في تكوين أجيال من الباحثين القادرين على فهم اللغة كظاهرة حية متفاعلة مع الفكر والمجتمع.

لم يقتصر إسهامه على المعرفة وحدها، بل شمل بناء بيئة أكاديمية متسامحة ومحفزة على الحوار النقدي، حيث كان مثالًا للأخلاق العلمية والتفاني في العمل الأكاديمي، وأثر شخصيته الهادئة والحكيمة على زملائه وطلابه، ملهمًا إياهم على ممارسة البحث النقدي والفكر المستقل. يظل فكره وإسهاماته علامة بارزة في المشهد اللغوي العربي، إذ يعكس التلاقي بين المعرفة الإنسانية والبحث العلمي، ويثبت أن دراسة اللغة ليست فقط عملية تقنية، بل فعل معرفي متكامل يثري الفكر ويقوي صلة الإنسان بعالمه وثقافته.

وفي ختام هذه الكلمة، لا يسعنا إلّا أن نقف وقفة إجلال وإكبار أمام المسيرة الحافلة التي خطّها المجاهد العلّامة، شيخ اللسانيات والصوتيات في الجزائر والوطن العربي، البروفيسور (مكّي درّار). لقد كان بحقّ قامة علميّة سامقة، جمع بين أصالة الانتماء الوطنيّ وروح المجاهد الذي حمل همّ الهويّة واللّغة، وبين عمق الباحث الذي كرّس حياته لتشييد صرح معرفيّ متين في علوم اللّغة والصّوتيّات. بفضل رؤاه المتفرّدة، أسّس لمناهج جديدة في دراسة العربيّة، وأثرى المكتبة الأكاديميّة بمؤلّفات ودراسات أصبحت مرجعًا للأجيال، كما كان معلّمًا ملهمًا يزرعُ في طلبته حبّ اللّغة ووعيها الحضاريّ. إن رحيله يوم 19 جانفي 2026 مثّل خسارة جسيمة للسّاحة العلمية العربية، إذ فقدت معه معلّمًا عبر الأزمان ومكوّنًا للأجيال، لكن إرثه سيظلّ حيًّا في كتبه، وفي تلامذته الذين يحملون مشعل العلم من بعده. لقد ترك وراءه مدرسة فكريّة متكاملة، ولغة مؤثرة راقية تشهد على أن العظماء لا يغيبون، بل يخلّدهم أثرهم في العقول والقلوب.

لقد امتدّت علاقتي بأستاذي وشيخي البروفيسور (مكّي درّار) لما يقارب ثلاثين سنة، علاقةً لم تكن مجرّد صلة بين طالب وأستاذ، بل كانت صحبة علمية وروحية عميقة تركت بصماتها في مساري الأكاديمي والإنساني. بدأت هذه الرحلة منذ مناقشة أطروحتي في الماجستير سنة 2002، حيث كان حاضراً موجّهاً ومسانداً، ثم رافقني في خطواتي الأولى بعد توظيفي بجامعة وهران، فكان نعم المرشد والمعلّم الذي يفتح

أبواب المعرفة ويقود نحو التميّز. لم تقتصر إفادتي منه على الصوتيات واللسانيات فحسب، بل شملت مختلف العلوم والمجالات، إذ كان موسوعيّا بحق، عبقريّا في طرحه، مثقّفا يجمع بين أصالة التراث وعمق الحداثة، يربط الماضي بالحاضر ويستشرف المستقبل.

بلغت هذه العلاقة ذروتها في مناقشة أطروحتي للدكتوراه تحت إشرافه سنة 2007 وكنت حينها أصغر دكتورة في الوطن العربيّ، حيث لم يكن مشرفا فحسب، بل شريكًا في الفكر والإبداع ومشاركتنا نجاحاتنا بكلّ صدق ورحابة، وجمعنا تأليف كتابين مهمّين: الأوّل في المقرّرات الصوتيّة في البرامج الوزاريّة للجامعة الجزائريّة دراسة تحليليّة، والثاني في صوتيّات التّصريف بين التّوصيف والتّوظيف، إلى جانب مشاريع كتب أخرى بدأناها معا وسأكملها وفاءً له وهديةً لروحه الطاهرة. لقد كان رجلاً كريما معطاءً، لا يعرف الزنّ ولا المنّ، يساعد كلّ من قصده في سرّ، ويحرصُ على أن يرى طلبته متميّزين، روّادا في مجالاتهم، يحملون مشعل العلم كما أراد لهم، وكان يقول لنا أحبّ أن تتميّزوا لا أن تنجحوا، لأنّ النّجاح سيحالف الجميع في الأخير. رحل شيخنا يوم 19 جانفي 2026، لكن ذكراه ستظلّ حيّة فينا، وأثره سيبقى ممتداً في الأجيال، جزاه الله عنّا خير الجزاء، ورحمه رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 12/ العدد: 01- جانفي (2026)

تاريخ الاستلام: 2025/02/18 تاريخ القبول: 2025/05/01 تاريخ النشر: 2026/01/31

# تغاير مستويات التنغيم القرآني وأثره في انزياح التقرير والاستفهام

محمد عرباوي
Mohamed.arbawi@univ-msila.dz
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة /الجزائر

# THE VARIATION IN THE LEVELS OF QURANIC INTONATION AND ITS EFFECT ON THE SHIFT OF THE REPORT AND THE QUESTION

Mohamed Arbaoui
Mohamed.arbawi@univ-msila.dz
Mohamed Boudhiaf University.Msila/Algeria

## ملخص البحث

سعينا في هذه الورقة البحثية إلى معالجة إشكالية تغاير مستويات التنغيم الصوتي في القرآن الكريم، وأثر ذلك في انزياح غرضي التقرير والاستفهام، اعتمادا على آليات المنهج الوصفي، حيث عالجنا هذه الظاهرة الصوتية في آيات مختارة من القرآن الكريم في إطار تداخل علم الأصوات مع علم البلاغة، وتوصلنا إلى زمرة من النتائج أبرزها: انخراط التنغيم ضمن أقوى السياقات الصوتية الخارجية للخطاب التي تجعل المعاني تابعة لها، وإن مقاصد المتكلمين تظهر بحسب مكونات التنغيم الفيزيائية والنطقية، ووفق تغاير مستوياته الصوتية، ويظهر ذلك كثيرا في تجويد القرآن الكريم، كما أن التنغيم له دور مهم في تحديد الغرض البلاغي للنص القرآني خاصة غرضي التقرير والاستفهام، ولكنه في المقابل له القدرة على إخراج النص من هذين الغرضين إلى أغراض بلاغية أخرى.

كلمات مفتاحية: التنغيم القرآني؛ تغاير المستويات؛ الانزياح البلاغي؛ التقرير؛ الاستفهام.

## ABSTRACT:

**In this research paper, we sought to address the problem of the variation in the levels of vocal intonation in the Holy Quran, and its effect on the shift of the purposes of reporting and interrogation, based on the mechanisms of the descriptive approach, as we addressed this vocal phenomenon in selected verses of the Holy Quran within the framework of the overlap of phonetics with the science of rhetoric, and we reached a group of results, the most prominent of which are: the involvement of intonation within the strongest external phonetic contexts of the discourse that make meanings subordinate to it, and the intentions of speakers appear according to the physical and phonetic components of intonation, and according to the variation in its phonetic levels, and this appears often in the recitation of the Holy Quran, as intonation has an important role in determining the rhetorical purpose of the Quranic text, especially the purposes of reporting and interrogation, but in return it has the ability to take the text out of these two purposes to other rhetorical purposes.**

**Keywords: Quranic intonation; variation in levels; rhetorical shift; reporting; interrogation.**

## 1.مقدمة:

يعد علم الأصوات من العلوم التي لقيت اهتماما كبيرا لدى الباحثين اللغويين في كل مكان من العالم وفي أي زمان؛ فنحن نجد أنفسنا اليوم أمام مدونات كثيرة في هذا التخصص المعرفي قديمة وحديثة أو عربية وغربية، وبناءً على نظرية تكامل العلوم والتداخل البيني للمعارف من داخل التخصص اللغوي أو من خارجه، فإننا نتوقع وجود تقاطع بين علم الأصوات وعلم البلاغة العربية، ولعل أبواب هذا التقاطع كثيرة أهمها: الفصاحة، الفصل والوصل، العروض، الفاصلة القرآنية، السجع، التنغيم.

كما أن فهم الخطاب المنطوق يقتضي ربط دلالته بالسياق الداخلي والخارجي، والسياق الخارجي يتضمن اعتبارات عديدة تتعلق بملابسات النص وظروفه، ومن بينها التنغيم، لذلك فإن دراسة التنغيم من ضرورات دراسة السياق، ويعد علم المعاني في البلاغة العربية من أكثر علومها اهتماما بأثر السياق في إنتاج المعنى.

فالتنغيم من أكثر الأبواب الصوتية ثراء وتداخلا مع المباحث البلاغية، فهو أداة مؤثرة في نفس المتلقِي ووجدانه، وظاهرة صوتية موجّهة للمعنى وتمتد إلى تحقيق أغراض بلاغية كثيرة في الخطاب على رأسها التقرير والاستفهام. ومن هنا جاءت الفكرة لمعالجة الإشكالية الآتية:

**كيف يؤثر تغاير مستويات التنغيم القرآني على انزياح غرضي التقرير والاستفهام؟**

حيث نفترض أن التنغيم يتشكل من عدة مكونات وله مستويات صوتية متباينة من شأنها إكساب الخطاب القرآني دلالة خاصة؛ وكذلك يمكنه التأثير في غرضي التقرير والاستفهام وإخراجهما إلى أغراض أخرى.

وهذا الموضوع ليس بجديد، فقد تم التطرق إليه في بعض الدراسات، وأهمها:

1. دراسة الدكتور خالد عبد الرحمن بعنوان: "التنغيم في القراءات المتواترة وأثره في تعدد الدلالات"، الصادرة عن دار القرآن الكريم بدمشق بسوريا، سنة 2017، وفيها قارن الباحث بين قراءتي حفص وورش في آيات قرآنية، من حيث النبرات الصوتية، مما يضفي معاني جديدة مثل الاستفهام الضمني والتقرير.

2. دراسة الدكتورة فاطمة حسن عبد الله بعنوان: "الأثر البلاغي للتنغيم في القرآن الكريم"، الصادرة عن مركز البحوث القرآنية بجامعة الملك سعود بالسعودية، سنة 2018، حيث ربطت الدراسة بين التنغيم الصوتي والمقاصد البلاغية، كتحويل الجمل الخبرية إلى استفهام تقريري وأشارت إلى أن الانزياح في النبرة يُستخدم للتأكيد على الحقائق الإيمانية عبر أسلوب التحدي.

3. دراسة الدكتورة ليلى محمود بعنوان: "انزياح المعنى في القرآن عبر السياق الصوتي: قراءة في تفاسير الطبري والزمخشري"، الصادرة عن مجلة الدراسات الإسلامية بجامعة بغداد بالعراق، سنة 2019، حيث ناقشت الدراسة كيفية اعتماد المفسرين على التنغيم في تفسير الآيات القرآنية، وأظهرت أن النبرات الاستفهامية حوَّلت الكلام إلى معان أخرى بدلًا من الاستفهام الحقيقي.

وما يميز مقالنا عن هذه الدراسات هو عينة الآيات المختارة للدراسة، وكذلك طريقة التناول وأسلوب الشرح، وسنعالج إشكالية بحثنا وفق آليات المنهج الوصفي وعلى رأسها التحليل؛ مستهدفين تحقيق الأهداف الآتية: معرفة معنى التنغيم، وطبيعة وجوده في التراث اللغوي العربي، ومدى تبعية الأصوات للمعاني، ثم بيان مكونات التنغيم، وعلاقة التنغيم بتحديد الغرض البلاغي، وكيف ينتقل التنغيم من إظهار التقرير والإثبات إلى إظهار الاستفهام، ثم قدرته على إخراج دلالة النص القرآني من التقرير والاستفهام إلى أغراض أخرى كثيرة، مما يشي بأهميته في إبراز مقاصد النص، وتفسير قضايا قرآنية من خلال مستوياته اللحنيّة ووظائفه المختلفة في التعبير عن المعاني.

## 2. معنى التنغيم

التنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ (Intonation)، وقد دخل إلى الدراسات اللغوية العربية المعاصرة عن طريق الدكتور إبراهيم أنيس، الذي سماه: النغمة الموسيقية، وقال: "إن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها ... ويمكن أن نسمي درجة الصوت بالنغمة الموسيقية". (1985، ص176).

وهو مصطلح يدلّ على ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام، ويسمّى أيضاً موسيقى الكلام. (بشر، 1986، ص161)، وهو من الظواهر الصوتية التي تساعد في تحديد المعنى، لأنّ "تغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات. (أنيس، 1984، ص47).

وعليه؛ فالتنغيم هو التغير في نغمة الصوت أثناء الكلام بالارتفاع أو الانخفاض، ويلعب دورًا حاسمًا في نقل المعنى والعواطف في اللغة إلى السامع.

## 3. التنغيم في التراث العربي

لم يفرد علماء العربية القدامى أبحاثا متخصصة حول التنغيم، لكن جهودهم لم تخل من إشارات دلالية مبثوثة في بطون كتبهم حول التنغيم، خاصة تلك المتعلقة بدراسة القرآن الكريم وتفسيره؛ لذلك يمكن القول إن التنغيم وُجد في التراث العربي لكن بمسميات أخرى، حيث يقول رمضان عبد التّواب: "ولم يعالج أحد من القدماء شيئا من التنغيم، ولم يعرفوا كنهه، غير أنّنا لا نعدم عند بعضهم الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام للدّلالة على المعاني المختلفة". (1985، 106).

ويقول عبد السّلام المسّدي: "إنّ التنغيم في العربية له وظائف نحوّية، لأنّه يفرق بين أسلوب وآخر من أساليب التركيب، ومع هذا فإنه لم يحظَ لدى أجدادنا ببحث مستفيض، أو تطبيق مستند إلى قواعد محددة". (1981، ص226).

### 4. تبعية الأصوات للمعاني

إن الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت، انظر مثلا الآية: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۖ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَۖ﴾ [يس، 29]. فسرها الإمام الطبري بموقف التحسر على أنفس العباد على ما ضَيَّعت من أمر الله وفرّطت في جنبه تلهفاً في استهزائهم برسل الله، وأن عبارة (يا حسرةً على العباد) توافق عبارة (يا ويلاً للعباد). (1994، مج6، ص274).

وقُرأت (ياحسرة) أيضا بالهاء الساكنة (ياحسره) في قراءة شاذة ، ويرى (ابن جني) أنّ غاية ذلك هو تقوية المعنى في النفس كون الخطاب في موضع وعظ وتنبيه وإيقاظ وتحذير. (1984، ج2، ص210)، حيث إن معاني الاستعظام والتعجب والوعظ تطلبت تنغيما يتم بإطالة الوقوف على الهاء.

وهذا يتوافق مع تقاليد العرب في الكلام، فهي إذا أخبرت عن الشيء غير معتزمة عليه أسرعت فيه، ولم تتأنّ على اللفظ المعبّر به عنه. (ابن جني، 1984، ج2، ص208).

فنسجل هنا عناصر تنغيمية تمثلت في المطل والوقف المتأني عند (الهاء) لغرض الاعتزام عليها في تقديم معنى الاستعظام، فحدث الفصل بين عبارتي (حسرة) و(على العباد) خلافا للقواعد التركيبية التي تقتضي الوصل بينهما ولا تستحسن الاعتراض أو الوقوف عندها لأن العبارة الثانية هي جار ومجرور متعلقان بالأولى، أو صفة لها وتتم معناها.

### 5. مكونات التنغيم

عرفنا أن التنغيم هو التغير في درجة نغمة الصوت أثناء الكلام، وبتعبير أوضح هو تلحين صوتي يُسهم في تحديد المعنى والسياق العاطفي للجملة. لكن هذه الظاهرة تعتمد على تفاعل مكونات فيزيائية وأخرى نطقية على النحو الآتي.

#### 1.5 المكونات الفيزيائية للتنغيم

المكونات الفيزيائية للتنغيم تتمثل في الجهاز التشريحي والجانب المادي البنوي لأعضاء جهاز النطق الذي من شأنه إحداث التنغيم، مثل: الأوتار الصوتية، العضلات الحنجرية، الرئتان، السمع، الدماغ، حيث ينتج عن هذه المكونات الفيزيائية مكونات فيسيولوجية أخرى تتمثل في الجانب العملي والوظائف الحيوية لأعضاء النطق، مثل: توتر الحبال، سرعة التذبذب، زيادة الاهتزاز، ضغط الحنجرة، تمدد الرئتين وتقلصهما، التقاط الذبذبات، الرسالة العصبية، تفسير التردد النغمي، نبين ذلك فيما يلي.

أ- **الأوتار الصوتية**

يشير كمال بشر في كتابه (علم الأصوات اللغوي) أن العلاقة طردية بين سرعة اهتزاز الوترين الصوتيين ودرجة حدة الصوت، وهي الآلية الأساسية التي تُبنى عليها أنماط التنغيم في الكلام. (1998، ص145). هذا يعني أن الأساس الفيزيائي لإنتاج نغمة الصوت هو ارتباط تردد الاهتزاز بارتفاع الصوت أو انخفاضه، ودرجة التنغيم تعتمد على سرعة تذبذب الحبال الصوتية في الحنجرة، فكلما زادت سرعة اهتزاز الأوتار الصوتية ارتفعت النغمة، وكلما قلت السرعة انخفضت النغمة.

ب- **العضلات الحنجرية**

يؤكد أحمد مختار عمر في كتابه (علم اللغة العام) إلى أن التنغيم نتاج تفاعل معقد بين الأعصاب والعضلات المسؤولة عن تحريك الوترين الصوتيين، مما يسمح بتنويع النغمة وفق السياق. (1982، ص237). بمعنى أن العضلات المرتبطة بالحنجرة تتحكم في طول الأوتار الصوتية وكتلتها وتوترها، مما يؤثر مباشرةً على تردد الاهتزاز وسرعته ويُحدد تباين النغمة في العبارة الواحدة.

ج- **الرئتان**

يُضيف محمد علي الخولي في معجمه أن التنظيم الدقيق لدفق الهواء شرطٌ أساسي للحفاظ على انتظام النغمة وتغييرها أثناء الكلام. (1997، ص89). فالدكتور هنا يربط بين التنغيم وعملية التنفس الصدري، إذ إن التنظيم العصبي للتنفس يتحكم في ضغط الهواء الخارج من الرئتين عبر الحنجرة، ويحافظ على تدفقه الثابت مما يسمح باستمرار الاهتزاز وانتظام التغيرات النغمية.

د- **السمع والدماغ**

تنبه عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) بأن الأذن البشرية تلتقط الفروق الدقيقة في النغمة، لكن الدماغ هو من يمنحها دلالاتها وفقًا للعرف اللغوي والثقافي. (1979، ص102)، فرغم أن التنغيم ظاهرة فيزيائية، إلا أن إدراكه يعتمد على سماع الأذن للأصوات والتقاط ذبذباتها الدقيقة، وإرسالها في شكل رسائل عصبية للدماغ الذي يقوم بتفسير تغيرات التردد النغمي، وتحليل اللغة انطلاقا من سياقها اللغوي والثقافي، ومن عناصر هذا السياق الفروق الطفيفة في التنغيم، فهو يدرك دلالة الاستفهام لجملة تبدو خبرية انطلاقا من النغمة الصاعدة مثلا.

ويتضح من خلال تكامل هذه المكونات الفيزيائية جميعا أن التنغيم ينتج من نظام معقد يعكس تفاعلَ عمليات الأعضاء التشريحية كاهتزاز الحبال الصوتية مع العمليات العصبية والإدراكية كالتفاعل بين السمع والدماغ.

### 2.5 المكونات النطقية للتنغيم

المكونات النطقية للتنغيم هي الأشكال الصوتية التي يحدثها النطق المنغم بغرض التحكم في المعنى ومن هذه المكونات نجد: الإظهار، الوقف، الوصل، السكت، الترسل، الترنّم، التطريب، مدّ الصوت، علو الصوت، إشباع المد، نبر المقاطع، تحقيق الهمز، إتمام الحركات، توفية الغنة. ونلحظ ذلك عند ندبة الميت أو المصاب، فتستعمل فيه أدوات النداء (يا، وا)، لكن ما يخرجه عن النداء إلى الندبة هو التنغيم المتشكل نطقيا من (الترنّم ومدّ الصوت والتطريب) على سبيل التفجّع والنواح.

يقول ابن يعيش (ت643 هـ): "اعلم أن المندوب مدعوّ، ولذلك ذكر مع فصول النداء، لكنّه على سبيل التفجّع، فأنت تدعوه وإن كنت تعلم أنّه لا يستجيب كما تدعو المستغاث به، وإن كان بحيث لا يسمع كأنه تعدّه حاضراً، وأكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهنّ وقلة صبرهنّ، ولمّا كان مدعوّاً بحيث لا يسمع أتوا في أوّله بـ (يا) أو (وا) لمدّ الصوت، ولمّا كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخراً للترنّم." (1987، ج2، ص13).

ومثال ذلك قراءة قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود، 42]، يفسرها الإمام ابن كثير بأن هذه سفينة نوح عليه السلام كانت سائرة بالمؤمنين على وجه الماء بإذن الله عند الطوفان، ونادى نوح ابنه الرابع واسمه (يام)، وكان كافرا، ودعاه أن يؤمن ويركب معهم السفينة ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون، لكنه رفض واعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رؤوس الجبال. (1999، ج4، 322)

مد الألف على النداء (ابناه) على الترنّي؛ أي قال له: يا ابناه.. على الندبة، ولو أراد حقيقة الندبة، لم يكن بدّ من أحد الحرفين: يا ابناه أو واابناه، كقولك: وازيداه، ويازيداه. (ابن جني، 1984، ج1، ص322-323). فخرج النداء إلى الندبة والحزن والضجر بسبب رفع الصوت ومدّ الحركة.

ومن مكونات التنغيم المدّ؛ فالمدّ هو الذي يفرق بين الخبر والاستخبار، وقدره ألف تامّة بالإجماع، فإن كان بين ألف المدّ حرف مشدّد زيد ألف ليتمكّن به من تحقيق الهمزة نحو: آلذاكرين الله. (السيوطي، 1985، ج1، ص98)، فإذا مددت دللت على الاستفهام، أمّا إذا حذفت المدّ فعلى الخبر.

يعني أن التنغيم يقوم بوظيفة تمييزية بين الجمل الإنشائية الاستفهامية والجمل الخبرية عن طريق رفع الصوت ومدّه، والعكس صحيح، فهو يمكّن من قلب المعنى من الخبر إلى الاستفهام. والتنغيم عادة ثلاث مستويات هي: الصاعد والنازل والمستوي، إلا أن ضبطها وتحديدها في الخطاب المسموع يبقى نسبيا بناءً على خبرة السامع وذوقه الفني ورجاحة عقله. وتظل دراسة مكونات التنغيم الفيزيائية والنطقية مجالًا حيويًا في الصوتيات التجريبية التي تشرك علم الأصوات اللغوي مع علم التشريح والفسيولوجيا.

## 6. علاقة التنغيم بتحديد الغرض البلاغي

إن تحديد المعاني لا يعتمد في الحقيقة على البنية السطحية وحدها فقد يكون في البنية العميقة خلافها، ويظهر ذلك في وجود أدوات نحوية وتراكيب ذات دلالة سطحية لكن بالالتفات إلى مجريات سياقها والتنغيم المرافق لها يتحول المسار، باعتبار أن التنغيم قرينة صوتية تكشف عن البنية العميقة القابعة تحت السّطح المنطوق ويظهر تأثيرها في تفسير العبارات وأغراضها البلاغية.

فالتنغيم عنصر دلالي كبير يهدي إلى تفسير الجملة تفسيراً صحيحاً. (الأفغاني، 1991، ص93-94)، ومن الوارد جدا أن يصعب تحديد الغرض من العبارت المكتوبة التي لا يحضر سياقها ممثلا بالدرجة الأولى في منطوقها بصورة حية وفعلية. ومثال ذلك الخلاف الواقع بين اللغويين في تفسير قوله تعالى: (قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) [الأعراف، 15]. حيث فسر الإمام القرطبي هذه الآية بأنّ إبليس أقسم بما أوقعَ الله في قلبه من الغي وبما خلقَ فيه من كفر العناد والاستكبار أن يصدّ بني آدم عن الطريق الموصل إلى الجنة، كأنّ إبليس أعظم قدر إغواء الله إياه لما فيه من التسليط على العباد، فأقسمَ به: فبما أهلكتني بلعنك إياي وبما خيبتني من رحمتك لأزيّنَّ الباطل لبني آدم حتى يهلكوا ويضلوا ويخيبوا، والإغواء هو الإهلاك والإضلال والإبعاد وإفساد الأمر. (2003، ج7، ص174-175).

وقد ذهب بعضهم إلى أنّها مصدرية، وأنّ المعنى والتقدير: (أقسم بإغوائك لي لأقعدنّ لهم)، أو بسبب إغوائك لأقعدنّ، وذهب بعضهم الآخر إلى أن (ما) استفهامية، وإلى أنّ التركيب على الاستفهام والاستئناف، والتقدير بأيّ شيء أغويتني.. ؟ ثم ابتدأ مقسماً، فقال لأقعدنّ.. (أبو حيان، 1993، ج4، ص274-275).

ونحن نرى أن التنغيم يظهر بمستوى صوتي ضعيف في التحليل الأول المعبر عن القسم فقط، وأنه عال في التحليل الثاني القائم على الاستفهام ثم الاستئناف بالقسم. ذلك أنّ تنغيم الاستفهام يختلف عن تنغيم الإثبات، وبغياب قرينة التنغيم التي تميّز بين الإثبات والاستفهام؛ يمكن أن يُفهم الغرض من الآية السابق وهي مكتوبة فقط على أنه القسم إذا كانت (ما) مصدرية و(الباء) سببية، أو على أنه استفهام إذا كانت (ما) استفهامية.

### 7. التنغيم وغرض التقرير

يساهم التنغيم في خروج العبارة من غرض التقرير إلى أغراض بلاغية أخرى، وهي كثيرة نورد بعضها تطبيقا على آيات بينات من الذكر الحكيم، وهذه الأغراض هنا هي: الاستفهام، الأمر، النهي.

#### 1.7 انزياح التقرير إلى الاستفهام

يجوز حذف همزة الاستفهام في الكلام، فيصبح الكلام بلفظ الإخبار، ويدلّ المعنى على الاستفهام. (الفراء، 1955، ج1، ص76).

حيث ينزاح التقرير إلى الاستفهام كما في قوله تعالى: (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ) [البقرة، 123]. قدم الشيخ الطاهر بن عاشور في هذه الآية تفسيراً لغوياً بيانياً طويلاً يمكن تلخيصه في أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام بكلام يمثل أصول الحنيفية وهي أوامر ونواه كثيرة الكلفة، ومنها ذبح ولده وبالمهاجرة بهاجَر، فأتى إبراهيم التكاليف كاملة مع فورية امتثاله وإتقانِه لها، وهذا دليل شدة العزم، فجوزي بالإمامة التي تعني أن رسالته تنفع أمته بطريق التبليغ والهداية، وغيرها من الأمم بطريق الاقتداء، فسأل إبراهيم أن يكون في بعض ذريته الإمامةُ بأنواعها من رسالةٍ وقدوة ومُلك وخلافة وإمارة وقضاء وفتوى ورواية العلم وإمامة الصلاة ونحو ذلك، غير أن الله تعالى أجابه بأن دعوته ستتحقق إلا في الظالمين، وهم المتصفون بأنواع من الظلم كالشرك وتحريف الكتاب وتأويله والانهماك في المعاصي. فإذا زال ظلمهم نالهم عهد الله، وهو الوعد المؤكد. (1984، مج1، ج2، ص699). وتقدير المعنى بالاستفهام أَوَمِنْ ذريّتي؟ بنغمة صوتية مستوية فكان الجواب: لا ينال عهدي الظالمين؛ أي إذا كان من ذريتك من هو ظالم فلا يكون إماما للناس مثلك.

والاستغناء عن الهمزة والارتكاز على التنغيم في الدلالة عن الاستفهام قد وجد فيما يعرف بعصور الاحتجاج قريباً من نشأة الدّرس اللّغوي عند العرب. (محمد عبدو، 2002، ص192-193).

وانظر قوله تعالى: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) [الشعراء، 21]، يفسرها ابن كثير بأن النبي موسى عليه السلام قال لفرعون أنه لا يَفي إحسانك إلي بأن ربَّيْتني مقابل ما أسأتَ إلى قومي بني إسرائيل، فجعلتهم عبيدا وخدما. (1999، ج6، ص137-138). الجملة هنا في ظاهرها خبرية إثباتية تقريرية، ولكنّها بالتنغيم إنشائية استفهامية، وتقدير الاستفهام: (أتمنّها عليّ..؟)، حيث حذفت همزة الاستفهام وتم التعويل على نغمة صوتية مستوية مفيدة الاستفهام.

وقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [التحريم، 01]، ذكر الإمام الطبري هنا أن الله تعالى عاتب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه حرّم على نفسه الحلال الذي أحله الله له، وأنه التمس بتحريمه ذلك مرضاة أزواجه. والغالب أن هذا الحلال هو جاريته مارية مملوكته القبطية، حين حرّمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها طالبا بذلك رضا زوجته حفصة بنت عمر، لأنها كانت غارت بأن خلا بها الرسول في يومها وفي حجرتها . فعوتب في التحريم وأُمر بالكفارة في اليمين . (1994، مج7، ص325-326).

يُلحظ التقرير؛ عند تقدير المعنى: فأنت يا محمد تحرّم الحلال ابتغاء مرضات أزواجك، غير أن دلالة التنغيم تشير إلى الاستفهام الإنكاري (تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ؟)؛ أي لا تحرّم الحلال مرضاة

أزواجك. (الجوارنة، 2002، ص41). حيث لا توجد هنا أداة الاستفهام، لكن قد تكون استفهامية إذا نطقت بصورة تناسب الأنماط التنغيمّة للجمل الاستفهاميّة، كرفع الصوت ومده، أو الوقف الجائز والوصل المستحب.

### 2.7 انزياح التقرير إلى الأمر

قد يخرج التقرير إلى الأمر، فممّا جاء خبراً وفيه معنى الأمر ما نقله سيبويه في (باب الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي، لأنّ فيها معنى الأمر والنهي) يقول: ومثل ذلك: (اتّقى الله امرؤ، وفعل خيراً يثب عليه)، لأنّ فيه معنى: ليتقِ الله امرؤ، وليفعلْ خيراً. (سيبويه، 1984، ج3، ص100). لا يكون ذلك إلا بالتنغيم، فهو يقوم بدور دلالي كبير ويساعد في التفسير الصحيح للكلام.

وقد يكون للأمر دلالات أخرى يؤدّيها التنغيم، مثل الفعل (اخرج) قد يكون طلباً محضاً، ويكون زجراً وتوبيخاً، وقد يكون رجاء، فلكّل غرض صيغة تنغيميّة خاصّة به، والتنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدّلالة على المعنى. (حسان، 1985، ص226).

### 3.7 انزياح التقرير إلى النفي

ينزاح التقرير إلى النفي كما في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ) [المائدة، 116]. يرى الإمام الرازي أن النصارى أشركوا حين اعتقدوا أن خالق المعجزات هو عيسى وأمه مريم، فجعلوهما إلهين من دون الله. وعبارة (أأنت) هي استفهام على سبيل الإنكار، بمعنى أنت لم تأمر للناس بأن يشركوا بالله. ولم يقل عيسى بأني لم أقل هذا الكلام، بل قال ما يكون لي أن أقول، أي فوض ذلك إلى علم الله المحيط بالكل، لأن المقام مقام خضوع وتواضع، ولا يجري مجرى دعوى الطهارة والنزاهة. (ج12، ص85).

نلاحظ هنا الهمزة في (أأنت) لم تفد الاستفهام بناءً على التنغيم المستوي المرافق لها، فهي همزة تقريرية دخلت على جملة مثبتة فغيرت معناها إلى النفي بدلاً من التقرير، وخرج غرض التقرير إلى النفي وتقدير المعنى (ما قلت لهم).

وقد يتحول النفي تقريرا إذا لحقته هذه الهمزة أيضا، مثل قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ) [الأعراف، 172]. يفسرها الإمام القرطبي بأن الله تعالى أخذ مواثيق من العباد يوم الذر، فعندما خلق الله آدم عليه السلام مسح ظهره بيده فاستخرج منه ذريته، وقيل: أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وجعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها. حيث دلهم على توحيده وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأن لا

إله غيره؛ فأقروا له بالربوبية وشهد بعضهم على بعض وشهد الملائكة عليهم حتى لا يقولوا غير ذلك. ثم أعادهم في صلب آدم، فقام ذلك مقام الإقرار منهم والإشهاد عليهم؛ فلما ذهل الخلق عن الله ذكرهم بأنبيائه. (2003، ج7، ص314-316). وقد دخلت الهمزة التقريرية على النفي (لست) فتحول المعنى إلى تقرير مع مساندة التنغيم المستوي.

### 8. التنغيم وغرض الاستفهام

تحدّث (برجشت راسر) عن الاستفهام في اللغات السّاميّة، حين قال: "واللغات السّاميّة، لا تعرف تأدية الاستفهام، بترتيب للكلمات خاصّ به أصلاً، فإمّا أن تستغني عن كلّ إشارة إليه إلاّ النغّمة، وإمّا أن تستخدم الأدوات، والأوّل موجود فيها كلّها، وهو نادر في العربية الفصيحة. (1982، ص108). وقد يحتوي الخطاب أداة لفظية تعبر عن غرض واحد، لكن بوجود التنغيم قد يخرج عن غرضه الحقيقي إلى غرض آخر مستلزم، وقد ينزاح أسلوبه إلى أساليب شتّى.

فالتنغيم هو الدليل الوحيد في تمييز الجمل الإثباتية عن الاستفهامية في الجمل التي لم تستعمل فيها أداة الاستفهام. (بشر، 1971، ص25-26)؛ بل إن التنغيم قد يكون في بعض النصوص أهم من وجود الأداة لأن هناك العديد من النماذج التي احتوت على أدوات الاستفهام وهي في الوقت نفسه لم تحكم على تلك النصوص بأنها استفهامية. (بشر، 1979، ص189).

فجملة: (هذا كتابي) قد تكون إثباتية تقريرية تريد الإخبار فقط، وقد تكون إنشائية استفهامية إذا رافقها تنغيم مناسب، حتى وإن لم تشتمل على أداة استفهام، فالذي يحدد غرضها هو الطريقة التي يتم بها أداء التنغيم الصوتي، فالبحث عن غرض الكلام يقودنا إلى البحث عن مجريات سياقه وكيفيات استعمال المنطوق وتداوله وليس المكتوب.

فعناصر التركيب واحدة ولا تصلح أساساً للتفريق بين الإثبات والاستفهام، بيد أن التنغيم هو ناحية الخلاف الوحيدة بينهما. (حسان، 1985، ص198)، لأن اختلاف رفع الصوت وخفضه في التركيب الواحد هو الفيصل الحاكم بين المعنيين السابقين.

وقد أحصى البلاغيون الأغراض المجازية للاستفهام فوجدوها تزيد على ثلاثين غرضاً بلاغياً. (مطلوب، 1987، ص181- 194)، يعني أن معنى الاستفهام يمكن أن يخرج إلى أغراض أخرى بحسب التركيب والسياق والتنغيم المستوي أو الصاعد أو النازل.

#### 1.8 انزياح الاستفهام إلى التقرير.

ينزاح الاستفهام إلى التقرير كما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان،1]، يرى الإمام الطبري هنا أن الله جلّ ثناؤه يسأل بـ: (هَلْ أتى) ويريد التقرير كأنه قال (قد أتى على الإنسان)، وفي هذا الموضع خبر لا جحد، ويقصد أن آدم عليه السلام كان آخر ما خُلق من الخلق، وقد أتى عليه مدة أربعين عاما وهو جسم مصوّر من طين لم تنفخ فيه الروح بعد، فلم يكن شيئا له نباهة ولا رفعة ولا شرف، إنما كان طينا لازبا وحمأً مسنونا. وقال آخرون: إن الدهر هنا لا حدّ له يوقف عليه، وليس واضحا أنه أتى على الإنسان قبل أن يوجد ويُخلق ويكون شيئا. (1994، ج7، ص418). فإذا نظرنا إلى الآية مكتوبة تبدو استفهاميّة بناء على القرينة اللفظيّة، وهي أداة الاستفهام، لكن إذا نظرنا إليها في سياق المعنى القرآني أو عرضناها على أسماعنا من أفواه القرّاء، لم تصبح استفهامية.

رغم وجود أداة الاستفهام (هل) إلا أنها بمعنى (قد). (السيوطي، 1998، ص507)، فلا تقصد الآية الاستفهام بقدر ما تقصد التقرير والتحقيق والتأكيد والإثبات؛ بسبب غلبة قرينة معنوية وأدائية هي التنغيم، وقد جاء التنغيم هنا مستويًا، لا هو بالصاعد ولا بالنازل.

يمكن تمييز الجمل الاستفهامية من الإثباتية اتكاء على التنغيم الصوتي الذي تميزه الأذن الخبيرة ويدركه الذوق السليم. (بشر، 1979، ص189)، فإذا استعملت التنغيم المستوي كان المراد الإخبار والتقرير أما إذا استعملت التنغيم المرتفع كان المراد معنى الاستفهام.

والكلام نفسه ينطبق على قوله تعالى: (ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ) [سبأ، 17]. يذكر الطبري أن هذه الآية نزلت في سياق معاقبة قوم سبأ جزاء تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله، فقد أرسل عليهم سيل العرم، حتى هلكت أموالهم، وخَرِبت جناتهم، والاستفهام هنا هو إقرار بأن الكفور يكافأ على جُرمه، بعدم المغفرة والعقاب. (1994، ج6، ص216). وهناك عبارات كثيرة تتضمن أداة الاستفهام، لكنّها لا تحمل معنى الاستفهام، أو العكس تخلو من أداة الاستفهام، لكن عند استعمالها بالتنغيم يستقبلها السّامع على أنها استفهام.

### 2.8 انزياح الاستفهام إلى التعجب

ينزاح الاستفهام إلى التعجب كما في قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَاكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة، 27]، قرن الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره هنا إنكار الكفر بالله تعالى بعلل عبادته من بيان ابتداء إنشاء نوع الإنسان وتكوينه وأطواره، وكل الأطوار الأولية لوجود الإنسان وهي موجودات ميتة ثم بثت فيه الحياة بنفخ الروح فأخذ في الحياة إلى وقت الوضع فما بعده، وكان هذا دليلا كافيا على انفراده تعالى بالإلهية. والله هنا يخاطب المشركين، لأن اليهود لم يكفروا بالله ولا أنكروا الإحياء الثاني، والاستفهام هنا يتولد عنه التعجب والإنكار بقرينة، أي إن كفركم مع تلك الحالة لا

تركن إليه النفس الرشيدة لوجود ما يصرف عنه وهو الأحوال المذكورة بعْدُ، وهذا يقطع معذرة المخاطب ويجعله حقيقاً باللوم والوعيد. (1984، مج1، ج2، ص373).

وتقدير المعنى: "عجباً منكم على أي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق من اختصه برسالته وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته". (الطبرسي، 1960، ص70).

رغم أن الآية استفهامية إلا أنها نقلت إلينا شعور التعجب من القوم الذين يكفرون بالله رغم أنه هو خالقهم والقادر على إماتتهم وإحيائهم وإرجاعهم إليه، والسبب في ذلك هو التنغيم الصاعد المرتفع الذي وجّه السياق نحو استجابة المتلقي للحدث وتفاعله بشعور التعجب الممزوج بالتحضيض على الإيمان بالله وحده وترك الكفر.

### 3.8 انزياح الاستفهام إلى الاستبعاد

ينزاح الاستفهام إلى الاستبعاد كما في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ [ الدخان، 12]، وتفسيرها عند الإمام الطبري أن الله تعالى هنا يسأل: من أيّ وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه، لا يتذكرون بما يُتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا. (1994، ج6، ص545-546). فالآية وظفت الاستفهام بالأداة (أنَّى) لكن المعنى خرج إلى غرض استبعاد تذكُّر هؤلاء الناس رغم تبليغهم من طرف رسول مبين، لأن ارتفاع النغمة عبّر عن استبعاد حصول القضية. (السيوطي، 1971،ص438).

### 4.8 انزياح الاستفهام إلى الأمر

ينزاح الاستفهام إلى الأمر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة، 93]، يرى الإمام الرازي في تفسيره أن خطاب هذه الآية موجه للمؤمنين، وهي دالة على تحريم الخمر والميسر من الوجوه الآتية: تصدير الجملة بإنما لحصر رجس عمل الشيطان في أربعة وهي الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، كما قرنَ الخمر والميسر بعبادة الأوثان تأكيدا لقبحهما، ثم الأمر بوجوب الاجتناب وجعل الاجتناب فلاحا وبالتالي الارتكاب خيبة، ثم شرح مفاسدها في الدنيا والدين، وهي وقوع التعادي والتباغض بين الخلق وحصول الإعراض عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة، ثم النهي بالاستفهام وهو أبلغ ما ينتهى به، كأنه قيل: هل أنتم منتهون من هذه الأفعال بعد ذمها وذكر صوارفها من المفاسد والقبائح؟ أم أنتم على ما كنتم عليه حين لم توعظوا بهذه المواعظ. وأمام هذا الأسلوب لا يقدر المخاطب المكلف إلا على الإقرار بوجوب الانتهاء والترك. (1981، ج12، ص85).

وتقدير المعنى: (انتهوا)، فالاستفهام في الآية مرتبط تنغيم صاعد متساوق يحمل معنى الأمر، يدفع المتلقي باتجاه الانتهاء طاعةً لأمر الله. (السيوطي، 1985،ص80).

### 5.8 انزياح الاستفهام إلى التشويق

ينزاح الاستفهام إلى التشويق ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَيٰ تِجَرَةٖ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٖ﴾. [الصف، 10]، يؤكد الإمام الطبري في تفسيره أن الله جلّ ثناؤه بين للمؤمنين في هذه الآية وما بعدها التجارة التي تنجيهم من عذاب جهنم الأليم، وهي الإيمان باللّهِ وَرَسُولِهِ محمد صلى الله عليه وسلم، ثم الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، وأن ذلك خَيْرٌ لهم من تضييع ذلك والتفريط، إنْ كانوا يعْلَمُونَ مضارّ الأشياء ومنافعها. (1994، مج7، ص288).

والاستفهام واضح في الآية لكن لا يراد منه الجواب بل التشويق، ونستشعر النغمة الممتدة صعودا، لاستمالة المتلقي إلى الإجابة بنعم، ومن ثمة سماع الرد ومعرفة طبيعة هذه التجارة المنجية من العذاب الأليم، ثم الإقبال عليها بثقة.

### 6.8 انزياح الاستفهام إلى الوعيد

ينزاح الاستفهام إلى الوعيد كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمَ اَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٖ مَّكَّنَّٰهُمْ فِے ٱلَارْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا ٱلَانْهَرَ تَجْرِے مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً اٰخَرِينَ﴾ [الأنعام، 7]، يفصل الإمام الرازي في تفسيره للآية بأن القرن هو القوم الذين يقترنون في زمان من الدهر ثم يفترقون بالموت، والله تعالى هنا يعظ المشركين العرب بما حدث للقرون الماضية، كأقوام نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب وفرعون، الذين ثبتهم في الأرض وأعطاهم من منافع الدنيا ككثرة العدد وبسطة الأجسام وسعة الأموال وأسباب العز ما لم يعط العرب في مكة، كما أرسل لهم الغيث المتتابع الكثير الدر، وجعل لهم الأنهار والبساتين الكثيرة، ومع ذلك جرى عليهم الكفر، فباعوا الدين بالدنيا فحق عليهم العذاب الشديد. وهذه القصص مشهورة عند العرب، وهي توجب الاعتبار والانتباه بأن الله تعالى لا يتعاظمه أن يهلك قوما بسبب كفرهم، ثم ينشىء مكانهم قوما آخرين يعمرون بلادهم. (1981، ج12، ص167-168).

والتقدير: (ألم يعلم هؤلاء الذين يكذبون النبي ما حلَّ بالأمم قبلهم من هلاك وتدمير بسبب تكذيبهم وذنوبهم, رغم تمكين الله لهم استدراجًا وإملاءً لهم). فجاء الاستفهام هنا بالهمزة (أ), أما الأداة (كم) هنا فهي خبرية وليست استفهامية بمعنى (أهلكنا كثيرا)، والغاية هي توجيه الوعيد والتهديد لهؤلاء القوم حتى يقلعوا عن تكذيب النبي، ومن المتوقع أن يرافق الخطاب التنغيم بصوت ممدود مرتفع مع الشدة والحزم.

### 7.8 انزياح الاستفهام إلى العتاب

يؤدي التنغيم النازل إلى إخراج الاستفهام إلى غرض العتاب، بسبب تأسف المرسل أو تعاطفه، مثل قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة، 43]، يرى الإمام ابن كثير هنا أن الله تعالى عاتب رسول الله عندما أذِن لأناس استأذنُوه في القعود عن المعركة، ولا يوجد أحسن من هذه المعاتبة لأنها بدأت بالعفو، كأنه يقول: هلّا تركتهم لَمّا استأذنوك، فلم تأذن لأحد منهم في القعود، لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب. (1999، ج4، ص159). فهنا جاء التنغيم متسما بالنزول ليساعد مجريات السياق ويعبّر عن معاتبة البارئ عز وجل خير رسله صلى الله عليه وسلم معاتبة لطيفة هادئة.

### 8.8 انزياح الاستفهام إلى التمني

قد يستبطن الاستفهام في طياته التمني إذا اقترن بالتنغيم النازل، مثل قوله تعالى على لسان أهل النار: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۘ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ۚ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف، 52]، يذكر الإمام القرطبي في تفسير الآية أن الله تعالى يخاطب المكذبين بالكتاب، ويتوعدهم بعواقب فعلهم يوم القيامة بما وعدوا به في القرآن من البعث والحساب والعقاب، وحينها سيعترف الذين نسوه بما جاءت به الرسل من الحق، وسيتساءلون باستفهام فيه معنى تمني الشفاعة أو العودة للدنيا للعمل بغير ما كانوا يعملون، لأنهم لم ينتفعوا بما أنزل لهم من النعم وخسروا حظ أنفسهم منها، وبطل ما كانوا يقولون من أن مع الله إلها آخر. (2003، ج7، ص217-218).

فالموقف يصور حال المعرضين عن الحق يوم القيامة وهم ينالون جزاءهم، يطلبون الشفاعة وهو يعلمون أنها لا تحق لهم فجاء طلبهم باستفهام منغم تنغيما حزينا نازلا أخرجه إلى التمني، ركنوا إليه وعجزوا عن رفع أصواتهم لأن الشيء المطلوب يستحيل أن يُدركوه.

### 9.8 انزياح الاستفهام إلى الاستبطاء

قد ينزاح الاستفهام إلى الاستبطاء، كما في قوله تعالى على لسان المسلمين: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة، 212]، يرى القرطبي في تفسيره أن هذه الآية نزلت تطييبا لقلوب المسلمين حين أصاب ما أصابهم من الجهد والشدة، في غزوة الخندق أو أحد، وقيل تسلية للمهاجرين حين تركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسرّ قوم من الأغنياء النفاق، وذكّرهم: هل ظننتم أن تدخلوا الجنة

ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم من البلاء فتصبروا كما صبروا، وقد خوفوا وحركوا بشدة، وبلغ الجهد بهم حتى استبطؤوا النصر، فيقولوا متى نصر الله، على طلب استعجال النصر لا على شك وارتياب، فاستدعاهم تعالى إلى الصبر، ووعدهم على ذلك بالنصر القريب. (2003، ج3، ص32-34).

قالوا هذا بعد أن زلزلوا ومستهم البأساء والضراء. (السيوطي، 1971، ص437)، وأصابهم التعب والوصب، حيث تحسروا وتساءلوا عن زمان قدوم النصر من الله، فاستخدمت الأداة (متى) في عبارة مشحونة بنغم نازل ونبرة حزينة وصوت بطيء دلالة على استبطاءهم مجيئه، ورغبتهم في حصوله في أقرب وقت.

### 10.8 انزياح الاستفهام إلى الإنكار

ينزاح الاستفهام إلى الإنكار كما في قوله تعالى: (أَمَنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) [الزُّمَر، 10]، يفصل الإمام الطبري هنا بأن (أَمَنْ) قُرأت بتخفيف الميم، فيكون الألف فيها بمعنى النداء (يا من هو قانت)، أو معنى الاستفهام (أهذا كالذي جعل لله أندادا ليضلّ عن سبيله)، ثم اكتفى بما قد سبق من فريق الكفر به من أعدائه، إذ كان مفهوما المراد بالكلام. وقُرأت (أمّنْ) بتشديد الميم، بمعنى استفهام اعترض في الكلام بعد كلام قد مضى (أم من هو؟) ويكون جواب الاستفهام متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر، وما أعدّ له في الآخرة ، ومعناه : هذا أفضل أم هذا؟ والقانت هنا هو القارىء قائما في الصلاة، وقيل الطائع ساعات الليل، أوّله، وأوسطه، وآخره. ساجدا أحيانا وأحيانا قائما يحذر عقاب الآخرة، ويرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة. وهنا لا يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك هم يخبطون في عشواء، وأهلُ العقول والحجج هم الذين يتدبرون هذه الآيات، فيعتبرون ويتعظون. (1994، ج6، ص372-373).

وتوجد أداة الاستفهام (هل) لكن العبارة لا تريد جوابا بنعم أو لا، ولكن يراد بها التقرير وخرجت إلى النفي والإنكار لمسألة الاستواء بين الفريقين العلماء وغير العلماء، ويدرك الملتقي ذلك انطلاقا من النغمة المستوية الهادئة للعبارة التي تميل إلى النزول، مما يساعد على إضفاء الهدوء أمام المنكرين للمسألة، والثقة بأنها مسألة واضحة لا ينكرها العاقل ولا تحتاج إلى أدلة أو براهين.

## 9. خاتمة

في الأخير يمكن أن نرصد النتائج التالية:

- أدرك العلماء العرب القدامى مسألة التنغيم وأهميتها؛ لكن لم تفرد لها تصانيف أو مباحث خاصة بها، ولم تكن بمصطلح التنغيم وإنما بألفاظ ومفاهيم أخرى مبثوثة في ثنايا كتبهم.

- إنّ التنغيم أكثر انتشاراً في اللهجات المحكية وفي الخطابات التواصلية الحية بين الناس، وله علاقةً مهمّةً بالموسيقى ولحن الكلام وله أثر كبير في تفسير قضايا بلاغية من خلال إدراج مستوياته ووظائفه المختلفة في التعبير عن بعض المعاني.

- إن علم الأصوات يتداخل مع علم البلاغة في عدة مباحث أبرزها التنغيم، فهو مبحث صوتي بالأساس لكنه يمتد إلى البلاغة العربية وإلى علم المعاني تحديدا، بوصفه عنصر هام من عناصر السياق التي تتكامل لتشكيل دلالة العبارات وبيان أغراض المتكلمين، وحتى الغرض الواحد يمكن أن يخرج إلى أغراض فرعية بسبب التنغيم الصاعد أو النازل أو المستوي مثلما حدث مع الاستفهام.

- ينقل التنغيم العبارات من معانيها البلاغية الأصلية سواء في حالة التقرير أو الاستفهام إلى أغراض بلاغية أخرى، وأكثرها في حالة خروج الاستفهام إلى معانٍ مستلزمة، وهذه الظاهرة لا تقتصر على البلاغة في مسألة الخروج إلى الأغراض البلاغية، بل أصبحت معروفة في تخصصات أخرى في اللسانيات الحديثة المعاصرة كالأسلوبية والتداولية والوظيفية والسيميائية، وتحت مسميات عديدة منها: الاستلزام التخاطبي، الخرق الدلالي، الانزياح اللغوي والأسلوبي.

- إنّ الإنصات إلى تنغيمات القرآن من أعظم الأسباب إلى إدراك معانيه، فنسأل الله أن يعيننا على ذلك ويُدخلنا برحمته في عباده المهتدين: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزُّمَر، 17].

## المراجع


*- القرآن الكريم برواية ورش.

1- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة، مصر ، ط5، 1984.

2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985.

3- ابن جني، المحتسب، دار المعارف، القاهرة، 1984.

4- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط2، 1999.

5- ابن يعيش موفق الدين بن علي، شرح المفصّل، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، القاهرة، 1987.

6- أبو حيان الغرناطي الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، 1993.

7- أحمد مختار عمر، علم اللغة العام، عالم المعرفة، الكويت، 1982.

8- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1987.

9- الأفغاني سعيد، في أصول النحو، منشورات جامعة البعث، دمشق، 1991.

10- برجشت راسر، التطور النحوي للغة العربية، تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة، 1982.

11- تمّام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985.

12- تمّام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985.
13- الرازي أبو عبد الله محمد فخر الدين بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981.
14- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1985.
15- سيبويه أو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، دار المعارف، القاهرة، 1984.
16- السيوطي جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1971.
17- السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم العربية، دار الفكر، القاهرة، 1985.
18- السيوطي جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
19- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984.
20- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994.
21- الطربسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: هشام الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1960.
22- عائشة عبد الرحمن، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار المعارف القاهرة، 1979.
23- عبد السلام المسّدي، التفكير اللسّاني في الحضارة العربية، الدّار العربية للكتاب، 1981.
24- الفرّاء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد على النجار، دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1955.
25- فلفل محمد عبدو، اللغة العربية ثوابت ومتغيرات، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2002 م.
26- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/ 2003م.
27- كمال بشر، علم الأصوات اللغوي، دار المعارف، القاهرة، 1986. ودار غريب، القاهرة، 1998.
28- كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1971.
29- كمال بشر، علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات، دار المعارف، القاهرة، 1979.
30- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1997.
31- يوسف عبد الله الجوارنة, التَّنْغيم ودلالته في العربيَّة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 369، كانون الثاني، 2002.